



دور البيئة الأندلسية في شعر ابن خفاجة وأثر الطبيعة فيها

دراسة وصفية تحليلية

سهيلة عبد السلام امحمد

قسم اللغة العربية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية نالوت - جامعة نالوت

shyt903@gmil.com

تاريخ الاستلام: 2026/01/14 - تاريخ المراجعة: 2026/02/10 - تاريخ القبول: 2026/02/22 - تاريخ النشر: 2026/03/23

ملخص :

يتناول البحث شعر ابن خفاجة مركزاً على وصف الطبيعة الأندلسية وتأثير البيئة في تشكيل صورته الشعرية. يبرز تداخل العناصر الطبيعية (كالزهور والأنهار والثمار) مع العواطف الإنسانية، حيث يمزج الشاعر بين الجمال الحسي والوجداني بأسلوب تصويري بديع. كما يعكس البحث أثر الظروف الاجتماعية والسياسية، خاصة الحروب، في توجيه بعض أغراضه الشعرية مثل وصف الأدوات الحربية. واعتمدت الدراسة المنهج التحليلي للكشف عن جماليات الوصف وعلاقة الشاعر ببيئته، مما يؤكد أن الطبيعة كانت مصدرًا أساسيًا لإلهامه الفني.

الكلمات المفتاحية: ابن خفاجة، الطبيعة الأندلسية، الوصف الشعري، البيئة، الشعر الأندلسي، الصور البلاغية.

Abstract:

The study examines the poetry of Ibn Khafaja, focusing on the description of Andalusian nature and the influence of environment on his poetic imagery. It highlights the interplay between natural elements (such as flowers, rivers, and fruits) and human emotions, where the poet blends sensory beauty with deep feelings through vivid imagery. The research also reflects the impact of social and political conditions, especially wars, on shaping some of his poetic themes, including descriptions of weapons. Using an analytical approach, the study reveals the aesthetics of description and confirms that nature was a primary source of his artistic inspiration.

Keywords: Ibn Khafaja, Andalusian nature, poetic description, environment, Andalusian poetry, imagery

المقدمة

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

تعد لغتنا العربية من أرق اللغات، ولا سيما أدبنا العربي الذي ما زال بحراً عميقاً لا ينضب، تتعدد قضاياها وتتنوع مقاصدها، ويقف كل باحث على جانب من جوانبه يبحث في أعماقه ويستجلي ما فيه قدر استطاعته. ويعتبر العصر الأندلسي من أهم العصور التي عاش فيها الشاعر، وانتشرت فيه ألوان أدبية متعددة ومختلفة تميز فيها الخاص والعام. وبالرغم من الظروف التي مرت بها الأندلس، والتي كانت مليئة بالخلافات وتصدع الحكم العامري الذي عُرف بعصر تمزق وحدة الأندلس، لعل كل هذه الأحداث والبيئة كان لها تأثير في حياة شاعرنا.

ويعتبر ابن خفاجة من هؤلاء الشعراء الذين وهبوا حياتهم للشعر، واهتم بالطبيعة بكل تفاصيلها، ومن خلال تطلعي على نتاج هذا الشاعر وجدت أنه لم يأخذ حقه من الدراسة الكاملة بعد؛ حيث نلاحظ أن كل واحد من الباحثين والدارسين ركز على

جانبا معين من جوانب إبداعه. لذا فإن الهدف الأساسي من هذا البحث هو معرفة الوسط البيئي الذي نشأ فيه الشاعر، وإلقاء الضوء على آثاره الأدبية، ومعرفة مدى تأثير الوسط البيئي في موضوعات الوصف عنده. ويتناول البحث موضوع الوصف عند ابن خفاجة وأثر الطبيعة الأندلسية فيه، وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، ثم ذُيل البحث بمجموعة من المصادر والمراجع العلمية التي كان لها دور فعال في كتابته. تناول المبحث الأول وصف البيئة الأندلسية وتأثيرها بالظواهر الاجتماعية، واشتمل على مطلبين عند ابن خفاجة، وتطرق فيهما إلى تأثير كل منهما، سواء ما كان في صور جمال الطبيعة الساحرة وكيفية تأثر الشاعر العميق بهذا الجمال الرائع، ثم الإشارة إلى إبراز مظاهر الحضارة بتناول الآلات والمعدات والآنية، مما يدل على عمق نظريته ودقة ملاحظته. واشتمل المبحث الثاني أيضاً على مطلبين، جاء فيهما وصف الشاعر للبيئة متمثلاً في طبيعتها المتحركة والساكنة، حيث نظر إلى مظاهرها المتنوعة ورسم مشاهداته للحياة والطيور في حركتها ونشاطها وحيويتها. وسلكت في المبحث الثالث مسلك تنوع الأغراض الشعرية التي تراوحت بين المدح والغزل والنقد للواقع السياسي الذي ظهر في مقدمات مدحية وغزلية، كما تطرق البحث إلى الهجاء الموجه للطبقة الحاكمة وبعض عادات المجتمع وطبائعهم وأخلاقهم. وقد اتبعت المنهج التحليلي في البحث، معتمدة على مصدر رئيسي وهو "ديوان ابن خفاجة"، مع التطرق إلى بعض المصادر والمراجع العربية التي تناولت الشاعر.

المبحث الأول : جمالية الوصف للطبيعة والمظاهر الاجتماعية وأثرها عند ابن خفاجة

المطلب الأول: وصف الظواهر الاجتماعية وتأثيرها بالبيئة الأندلسية

كان للبيئة الأندلسية دور كبير في شعر ابن خفاجة، وقد ذكر الكثير من الظواهر الاجتماعية في أغراضه الشعرية، فالأدب له أثر واضح في هذه البيئة.

الشاعر يعيش في مجتمعه فيؤثر فيه ويتأثر به. ومن هنا نلاحظ الأدب يختلف باختلاف الظواهر الاجتماعية، التي تمر بها المجتمعات، فالبيئة المناخية التي عاشها كانت مليئة بالظواهر الطبيعية المتنوعة، وتميز العصر الأندلسي ببيئة جميلة وراقية، وقد كان لذلك دور واضح في وصفه للبيئة الأندلسية الخلابة، التي كان لها الأثر الواضح في شعره، كما اختلطت الحياة الاجتماعية للأندلس بالفاكهة، والظرف، والهجاء القريب من الفاكهة⁽¹⁾ ومن الظواهر التي ذكرها الشاعر وصفه لأنواع الفاكهة فقد ذكر الشاعر فاكهة النارج، ومن ذلك قوله:

وَمَحْمُولَةٌ فَوْقَ الْمَنَاكِبِ عِزَّةٌ
رَأَيْتُ بِمَرَاها الْمُنَى كَيْفَ تَلْتَقِي
يُضَاحِكُهَا تَغَرُّ مَنِ الشَّمْسِ وَاضِحٌ
وَتُجَلَى بِهَا لِلْمَاءِ وَالنَّارِ صَوْرَةٌ
لَهَا نَسَبٌ فِي رَوْضَةِ الْحَزَنِ مُعْرَقٌ
وَشَمَلٌ رِيَّاحِ الطَّيْبِ وَهِيَ تَقْرَقُ
وَيَلْحَظُهَا طَرْفٌ مِنَ الْمَاءِ أَرْزَقُ
تَرَوْقُ فَطْرَفِي حَيْثُ يَغْرَقُ يُحْرَقُ⁽²⁾

قد وظف الشاعر هذا الجمال في وصفه للثمر بالعزة والكبرياء والمحبة والعلو، "محمولة فوق المناكب" السماء تسر العاشقين إليها، وتلتقى عندها الأحبة، وتتبعث منها روائح العطارين الطيبة، ويضحكها ضوء النور الساطع.

يبدع لنا ابن خفاجة في وصف فاكهة النارج بصورة خيالية، وعاطفة جذابة مترابطة متسلسلة بعيداً عن الغموض والتكرار، صورة في قمة الأبداع تسحر الطرف فيغرق في نار العاشقين ويحترق. جسد لنا الفاكهة في صورة رسام يرسم لوحة فنية مبدعة مختلطة ومترابطة الألوان، وعند النظر إليها تجد لون يحكم على شيء مرتبط بالعواطف والأحاسيس في صورة خيالية، وكان هذه الصورة قوس قزح الذي يمثل جمال الألوان ومزجها بأحاسيسه الخلابة من الخيال.

وقال يصف ثمرة التين أثناء الجنى، فيقول:

أَمَا وَاهْتِصَارِ غُصُونِ الْبَلَسِ
وَقَدْ قَلَّصَ الصُّبْحُ ذَيْلَ الْغَلَسِ

وَمَالَ يَسِيلُ جَنَى شَهْدِهِ
لَقَدْ شَاقَ مِنْ رَائِقِ الْمُجْتَلَى
كَمَا سَالَ رَيْقُ حَبِيبِ نَعَسِ
شَهِيَّ الْجَنَى مُسْتَطَابِ النَّعْسِ
وَأَحْبَبْتُ فِيهِ سَوَادَ اللَّعَسِ (3)

في هذه الأبيات يصور ابن خفاجة شجرة التين بشكل جميل، فيبدع في تصوير انبلاج الصباح ووصف، التين وحلوة طعمها بالمشاعر والأحاسيس يصف اهتصار الغصون يسيل منها جنى الشهد بريق الحبيب تشبه بديع يقارن سيلان العسل بسيلان ريق الحبيب مثل العسل الذي ينسكب من أنينه يصور حسن شكله وطعمه الذي جعله مغرم ببياض الثغور، ويحب عمق اللعس جمع منظر القاطف والخيال الحسي بين (طعم الجنى ولذة النفس) مزج بين الصورتين الحسية والبصرية. وصف موسم جنى ثمار التين في الصباح يوصف العلاقة الحميمة للحبيب، كل كلمة في هذا البيت تدل على درجة حميمية الشاعر لا يوصف لنا فقط الطبيعة في جنى فاكهة التين ولاكن يربطها بترابط حسي بالعواطف الإنسانية من تذوق حتى الشهد إلى ريق الحبيب إلى بياض الثغور، كلما فاقت العين البياض في السواد كان أكثر حملاً. ربط ابن خفاجة طعمة ولذة فاكهة شجرة التين برفقة الحبيب من نظرات ولمس وتذوق ارتباط عاطفي بين جنى فاكهة التين هل هذا دوسر وجسم الإنسان " لقد شاق من وراء المجتلى".

انبهر بمنظر من يقطف فاكهة التين المجتلى هو في قمة السعادة والتمتع عند قطف الفاكهة والاستمتاع واللذة والتذوق، والطعم اللذيذ الذي يرفعه إلى الخيال، يشعر بالعواطف والأحاسيس المرتبطة بين الطبيعة والعلاقات الحميمة جمع بين القاطف والخيال الحسي بياض الثغور " دمج بين اللونين البياض والسواد لزيادة الجمال كيباض العين، مما يزيد بها تناسقاً وجمالاً عند النظر إليها وضوح الموازنة بينهما السواد في البياض هذه صفة الجمال العربي القديم. ويصور التين في قطعة أخرى فيقول:

وَسَوْدُ الْوُجُوهِ كَلُونِ الصُّدُودِ
كَأَنِّي أَقْطِفُ مِنْهَا ضُحَى شَاعِرِنَا
إِذَا مَا تَجَلَّى بَيَاضُ الصُّحَى
تَبَسَّمْنَ تَحْتَ عُبُوسِ الْعَبْسِ
تَطْلَعْنَ فِي وَجْهِهِ كَالنَّمَشِ
تُدِّي صِغَارِ بَنَاتِ الْحَبْسِ (4)

ويذكر شاعرنا وصف فاكهة التين بلون الصدود والصدود يقصد به العتمة والظلام والغيوم، والدخان وابن خفاجة يميزه بما يلحقه من أهوال صعبة من الآلام نفسية تبتسم تحت (عيون العلس) توحى أن هناك نوراً ساطعاً وانفراج وفرح بعد ظلمة تبتسم كابتسام الحياة عند طلوع الفجر قبل ظهور الشمس، أما ما تجلى بياض الضحى ظهور نور الشمس الساطع تطلعن في وجهه كالنمش أمر واضح، وهي بقع بنية تظهر على الوجه وغالباً ما يكون نتيجة البياض وغالباً ما يكون نتيجة البياض عند الشعر (تري بنات الحبش) ثدي صغار بنات الحبش جمع بين البراءة، والجمال جمال الضحى والضيء مبروطة بشيء ناعم وبراءة الطفولة.

وقال يصف فاكهة العنب:

وَأَسْوَدَ مَعْسُولِ الْمَجَاجِ لَوْ أَنَّهُ
حَكَى لَيْلَةَ الْهَجْرِ اسْوَدَّادًا وَإِنَّهُ
لَمَسَى شَفَةَ لَمْ أَرُو يَوْمًا مِنَ الْقُبُلِ
لَأَشْهَى وَأَنْدَى مِنْ جَنَى لَيْلَةِ الْوَصْلِ (5)

يصف العنب أسود اللون يشبه سواء الشفه بسواد العنب، وله طعمه ولذته لا مثيل لها الشفاه من النوع يشبه الشاعر فم المحبوب بالعسل لحلاوة ولذته طعمه، يقول لو أن السمر في المحببة لضلت أقبل دون أن أروى وأمل من القبل يصف شفاه أسود اللون حلوة الطعم يشبه لون العنب الأسود بسواد الليل حكى ليلية الهجر، ويصف ليلية الفراق لما فيها من ألم وتحسر قابل بين الهجر والوصل، وصف الهجر بالسواد القاتم المظلم المعتم بفراق الحبيب، والوصل ومن جنى ليلية الوصل من جنى ثمار العنب عند النضج، هذا التقابل يزيد الصورة روعة وإبداعاً عالياً ومرهفياً حسياً.

يتطرق ابن خفاجة في موضوع آخر وصف الأفراد والأحوال. حيث عُرف ابن خفاجة بشاعر الطبيعة ولم يقف شعره عند الطبيعة بل أيضاً تعدا شعره إلى وصف الأفراد والأحوال كان وصفه مشتملاً لجميع الفئات من الأفراد والساقى والنديم والسابع، والأحدب وغيرهما.

صفة حسية مرتبطة بالطبيعة في وصف الملامح وصف الوجه يضى مثل النجوم ومشرق مثل الشمس وصفه البياض بياض الثلج وصفاً مستخدماً التشبيه والاستعارة، وصف العيون كسحر الغروب في صورته.

لم يقتصر وصف الأفراد عند الملامح فقط كذلك وصف الجمال الداخلي للأشخاص الذي يتمثل في الكرم والجود ومعرفة حسن التصرف والمعاشرة، وكذلك وصف أصحاب الأماكن العالية بالوقار والشعراء بأسلوب غنى وفخم وأصحاب الهيبة وصف ملامحهم بالقوة والعظمة والشراسة ويشبههم بالجمال. كان وصفه إلى الأشخاص مرتبط ارتباطاً حسيماً عاطفياً يتناغم مع الطبيعة بالخيال والدقة.

والساقى عندهم في مجالس الشراب واللهو لا بد أن يكون متصف بصفة الجمال الروحي والروقي الناعم حتى يكتمل شرابهم ومجالسهم باللهو والأنس، ما كان يتجه إليهم الشاربيون بمشاعرهم مأخوذتين مواصفات الجمال الفاتن الجذاب من رقة وجسم براق ولامع وعيون ساحرة عاشقة وحركة تكون مناسبة بولعة الخمر ليكتمل شربهم في لذة وانبساط.

أما ساقى ابن خفاجة فهو غلام أحور يصف شعره من صباه :

إِنَّمَا الْعَيْسُ مُدَامَ أَحْمَرُ قَامَ يَسْقِيهِ غُلامٌ أَحْوَرُ
وَعَلَى الْأَفْداحِ وَالْأُدواحِ مِنْ حَبَبِ نَوْرٍ وَثُبُرٍ أَصْفَرُ
فَكَأَنَّ الدَّوْحَ كَأَنَّ أُرْبَدَت وَكَأَنَّ الكاسَ دَوْحٌ مُزْهَرُ (6)

يذكر الشاعر في هذه الأبيات مشهداً من مجالس اللهو وشرب الخمر في يصف الشراب الأحمر باللون الأحمر. إن أحسن وأجمل حياة يعيشها الإنسان بكل تفاصيلها ووصفها في مجالس شرب الخمر لما له من لذة، وصف الشراب بالأحمر يعبر عن الحب والوانسة والعشق والطرب والشوق (غلام أحور) بسبب الغلام الذى يقدم الخمر بالحوار دلالة على الجاذبية والجمال في مجالس اللهو والشراب قد تكون قطرات أو زخارف الكأس يصف لنا القطرات المتناثرة على الكأس كأنها جوهرة الماس تضيء في الظلام.

ثم يختلط قطرات المتناثرة على الكأس بالأدواح المزهرة في ترابط بديع ممتع بين الكأس والطبيعة في صورة خيالية جذابة ممتعة.

شبه الروح بالكأس مثل الزهرة عندما تزهر ولونها أحمر خلاب تشبه الورد المتفتحة، وكأنها كأس امتلأت وزيرت ظهر عليهما رغبة وهى تحمل صورة بديعية نابغه من البيئة الأندلسية مفعمة بالحركة واللون والاحساس والجاذبية والحيوية صورة خيالية.

تطرق ووصف ابن خفاجة واصفاً مغنياً رقة صوته وجمال صورته حتى وصل ذروة الجمال معاً، حتى قرن جمال صورته بجمال سيدنا يوسف وعذوبة صوته بمزامير داود (عليهما السلام) فقال:

أَمْسَتِ يُمُرٌ لِحُسْنِهِ بَدْرُ الدُّجَى وَعَدَا يَذُبُّ لِلْحَنِهِ الْجُلْمُودُ
فَإِذَا بَدَا فَكَأَنَّما هُوَ يُوسُفُ وَإِذَا أَشْداً (7) فَكَأَنَّهُ دَاوُودُ (8)

هذه الأبيات مليئة بالصور البلاغية والتشبيهية، إن القمر في الشطر الأول من البيت فيه بلوغ في حسن الجمال والصوت، ليعترف لنا أن حسن الممدوح جمال يفوق القمر (للحنه الجلمود) الجلمود هو الحجر الصلب من شدة جمال صوته يذوب الحجر الجلمود، تصوير يدل على تأثير اللحن في إذابة أغنى الأشياء.

البيت الثاني شبه سيدنا يوسف (عليه السلام) في حسن الجمال بأعذوبة صوته وحسنه وتأثيره في الصخر والجبال تصوير لهذين البيتين عليها السلام أفشيه من القرآن الكريم قال تعالى: (فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ وَقَطَّعْتَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ). (9)

أما السابح فقد صورته بسرعة البرق والشهاب الذي يضرب في السماء فهو يجمع في صورة واحدة السرعة والقوة في هذا البيت تشبیه تمثلي شبه الجسم الضعيف بحالة الشهاب الذي يضيء بسرعة في الظلام بالشهاب رمز للقوة العجيبة والسرعة المذهلة، الأثر الفني أن الشجاعة ليست بفخامة الجسم ولكن بقوة القلب والفعل، كما نرى إن الشهاب رفيق الحجم ولكنه يضيء بقوته (السبح) المعنى الحقيقي هي السباحة في الماء، ولكن الشاعر استعار كلمة السباحة بالحركة السريعة مثل المواجهة في الميدان بكل ما يحتويه من عوائق واصطدام ربط البحر بالميدان. وقال في وصفه الأسود يسبح:

وَأَسْوَدٌ عَن لَنَا سَابِحٍ فِي لُجَّةٍ تَطْفَحُ بِيضَاءِ
وَأِنَّمَا جَالَ بِهَا نَاطِرٌ فِي مُقَلَّةٍ تَنْظُرُ زَرْقَاءِ (10)

في هذه الأبيات التشبيه المركب ممزوج بالحركة واللون، كأنه لنا مشهد يجري أمامنا، يصور الأسود يسبح ينظر سفينة تطفو فوق موجة بيضاء تحيط بماء أزرق واستعار مقلة زرقاء، لون المياه يعكس صورة طبيعية جميلة وراقية، التي تنتشر على البحر فيها مواطن الترفيه والفرح والمتعة.

كما يصف لنا ابن خفاجة حال العذار والخال في عرض الغزل بقوله :

أَلَمْ يُسْقِنِي سَلَاقَةَ رِيْقِهِ وَطَوْرًا يُحَيِّي بِأَسِ عِدَارِ
فَلَيْتُ مُرَادَ النَّفْسِ مِنْ أَقْحَوَانَةٍ شَمَمْتُ عَلَيْهَا نَفْحَةَ لِعِرَارِ
وَوَجْهَ تَخَالِ الْخَالِ فِي صَحْنِ حَدِهِ فَتَاتَةَ مِسْكِ فَوْقَ جُدُوَّةِ نَارِ (11)

فقد ألم به محبوبه يسقيه سلاقة ريقه (السلاقة) أنقى أنواع الخمر وألذ الطعم، هنا إشعار ريق الحبيب الذي يشبه الخمر منه من متعة وتأثير، (يجني) أي يوقظ مشاعر من نظر ولمس، يصف الشاعر لقاء الحبيب بلذة الخمر، وشبه الأبقوان زهره بيضاء شبه بها الشاعر الحبيب جمال لبياضه مثل زهرة الأبقوان نسبت عليه رائحة العرعار وهو شجر عطري ذو رائحة نفاذة تنعش الروح، ربط الشاعر عند لقاء بالحبيب بياض الجمال الأسنان والعيون وصفاء الخدود بالأبقوان. جمع الشاعر بين جمال الحبيب ورائحة العرعار، وصف خده بالأحمر مثل حمرة حمراء، ومن جمال الخد وبياضه فيه شامة وضوح الشامة في وسط الخد وشبهها بمسحوق المسك الأسود، الشامة على الخد كأنها مسك منثور على النار، يوجد وضوح جمع بين السواد والحمرة، يستمر في رسم لوحة من الطبيعة الأوس والأبقوان والعرعار والمسك والنار، بطريقة متسلسلة لقد برع الأندلسيون في وصف جمال الطبيعة وما يحتويها وربطوها بالمراحل العاطفية.

وقد تميز الشعراء الأندلسيون الوصف للأزهار والتشبه بها " بل افتنوا حتى أقاموا مناظرات بين ألوان منها، وكأنهم بذلك يتجاوزون مرحلة النظرة العاطفية إلى مرحلة التأملات الفكرية". (12)

المطلب الثاني: الأدوات الحربية وأثرها في شعر ابن خفاجة

دار الزمان بأهل الأندلس، وحل الخوف والرعب بين جوانحهم بعد السرور والفرح، منذ أن هب رياح الخلاف بينهم فاندلعت حروب ساحقة دارت رحاها على الرعية الذين ظلوا بين خوف ورجاء أمرائهم، فلا يرى أمير إلا أن يضع كل شيء بيديه، وسيتولى على كل شيء يمد به بصره ويخط الاستلاء والطمع الذي دفعه إلى ذلك، وهكذا كانت الأندلس بيئة جهاد. فقد عاشت صراعاً سياسياً وحربياً على مر الزمان، وقد زاد حدة هذا الصراع في ظل المرابطين فكان طبيعياً هنا أن يستمد الشعراء تخليد ذكرى لتلك المعارك. ولم يكن وصفهم نابغاً من الحكم ولكن نابغاً مما يروونه في ساحة المعركة ناتجة من تفاعل شاعر عاش في بيئة قامت فيها حروب طاحنه. (13) وصف ابن خفاجة ما وقعت عليه عينه من أدوات هذه الحروب مثل: السيف،

والرمح، والقوس، والدرع ... وغيرها، رتبها في قصائد شعرية ومقطوعات وتوزعت في أغراض مختلفة، وهذه الأدوات نالت عناية كبيرة لدى الشعراء وصف ابن خفاجة السيف فيقول:

وَمُرْهَفٍ كَلْسَانِ النَّارِ مُنْصَلِتٍ يَشْفِي مِنَ النَّارِ أَوْ يَنْفِي مِنَ الْعَارِ
تَخَالُ شُعْلَةً نَارٍ مِنْهُ طَائِرَةٌ فِي عَارِضٍ مِنْ عَجَاجِ الْخَيْلِ مَوَّارٍ (14)

هذه الأبيات مليئة بالصور الحربية والتشبيه، شبه السلاح بالنار استعارة قوية تشير إلى حدة وقوة وسرعة السلاح، يصف لنا السيف شديد القوة ومرهف كلسان النار منصلت" يصف السلاح بقوة اشتعال حرارة النار التي تأكل وتقطع وتحرق وتجرف كل شيء أمامه، وصوره أخرى يقول (يشفي من النار أو ينفي من العار) يكون رمز للعدالة والقضاء على الأشرار والمسلمين وتحقيق الحرية الدفاع عن الكرامة، "شعلة برق" شبه لمعان وحدة السيف تضئ مثل ضربة برق في الظلام تخطف الأنظار نتيجة القوة والانبهار، (عجاج الخيل) يصف لنا السيف يظهر مثل طائر في سماء وسط الغبار يلمع السيف وسط الغبار الصادر أثناء المعركة، يرسم لنا السلاح بأنه ليس أداة ولكن ككائن حي يرسم الرهبة في قلوب الأعداء .
والشاعر أعطى لسيفه صفة الجمال حيث يقول:

وَمُرْقَرٍ الْإِفْرِدِ أَبْرَقَ بَهْجَةً وَدَجَا فَأَطْلَعَ فِي الظَّلَامِ ضِيَاءً (15)

فقد رسم صفات الجمال على سيفه يتحرك بكل سلاسة يشع لمعانا كبرق يضيء الظلام كالشمس التي أشرقت على عتمة من الظلام وصوت وذهب رنان، يصور ويعتبر من الأشياء فائقة الجمال التي يصفها الأندلسيون في صناعاتهم استخدم صورة التكرار مرقق وابرق استخدم التكرار الصوتي في الصورة الغنية يضيء شعاعاً وسرعة الحركة .
وفي صورة أخرى يصف السيف هو منتسب يجري، فيقول:

تَرَى بِهِ مَاءَ نَضْلِ السَّيْفِ مُنْسَكِبًا يَجْرِي وَجَاحِمٍ نَارِ الْفَاسِ مُشْتَعَلًا
يَصُورُ لَنَا السَّيْفَ كَانْفِجَارِ سَدِّ مَاءٍ يَجْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ أَمَامَهُ أَخْضَرَ وَيَابِسَ بَدُونِ رَحْمَةِ لِقَوِهِ جِرْيَانِ
الماء مضيئاً ومعمراً ولامعاً وقت القتال، يصف قوة السيف في المعركة قوة القتال والشجاعة كأنه برق يشق السماء مضيئاً ولامعاً وقت القتال.

وصف ابن خفاجة للرمح كأنها كواكب تسقط على الأرض فيقول :

وَأَسْمَرٍ يَلْحَظُ عَنِ أَرْزَقٍ كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ رَجِمَ وَقَدِ
يَعْتَمِدُ الْعَيْنَ إِعْتِمَادَ الْكُرَى وَيَنْتَحِي الْقَلْبَ إِنْتِحَاءَ الْكَمَدِ
حَيْثُ الْوَعْيُ بَحْرٌ وَيَبِيضُ الطُّبْيُ مَوْجٌ وَخُرْصَانُ الْعَوَالِي زَبَدِ
يَضْحَكُ مِنْ بَيْضِ حَبَابِ طَفَا فِيهِ وَمِنْ دِرْعٍ غَدِيرٍ جَمَدِ (16)

ابن خفاجة يصف الرمح كالنجوم وكالشهاب والنيازك والكواكب، يصف الريح بالإنسان له عيون فائقة الجمال لها لمعان أسود ممزوجة مع الأزرق متداخله مع بعضها كلوحة فنان، يعبر عن جمال الإنسان مرتبط بجمال الطبيعة شبه العين بالكواكب (وينتحي القلب)، القلب يميل إلى الألم والوجع سبب شدة التأثر أو جمال الشيء، وكثرة لمعان النيازك والشهب وما تحتويه العين على سحراً وجاذبية تخطف الأنظار ، كالرمح وقت القتال لقوته وشده سرعته كأنه يشق السماء وقت ساعة القتال يستدل الوصف بالعناصر الطبيعية يصف ساحة المعركة بالبحر وبالأرض الخضراء والرمح كأنها لؤلؤة تطوف فوق الماء، وفي تفرق يدل على الصلابة والثبات وسط المعركة صورة الثبات والصلابة يعطي البيت توازناً رائعاً في مساحة القتال.

وغالباً ما كان يُقرن بين الرمح والسيف لأنهما أدوات حرب ومن ذلك قوله :

مَكَرٌ وَصَدْرُ الرُّمْحِ يَهْتَرُ عِرَّةً وَيَمْضِي وَجْفُنُ السَّيْفِ يُسْعَرُ عِنْدَ جِدِّ (17)

هو يصف الرمح بأنه بطل قوي فيه عزة وشجاعة ويصفه الشاعر هو رفيقه في ترحاله وشعره، وفيه فخر ويهتز في يده ينبض بالحياة السيف والرمح يلمعان في ساحة القتال كالنجم الذي يضيء في الليل يشق الصعاب يدافع عن الشرف بكل شجاعة.

يتطرق ابن خفاجة لوصف القوس كما وصف السيف والرمح فيقول في ذلك :

عَوَجَاءُ تُعْطَفُ ثُمَّ تُرْسَلُ تَارَةً فَكَأَنَّهَا هِيَ حَيَّةٌ تَنْسَابُ
وَإِذَا انْتَحَتْ وَالسَّهْمُ مِنْهَا خَارِجٌ فَهِيَ الْهَلَالُ انْقَضَ مِنْهُ شِهَابٌ (18)

وصف القوس التي تنطلق منها السهام كأنها حية عند اندفاع السهم يخرج بسرعة منها ترجع إلى مكانها، والسهم الذي ينطلق منها وكأنه برق يخطف الأنظار في لمح البصر، ويصف السهم والقوس مثل كائنات حيان في معركة للقتال .

المبحث الثاني: البيئة الطبيعية

المطلب الأول: الطبيعة الساكنة

هناك رابطة متينة وقوية بين الشاعر والطبيعة منذ أن خلق على وجه الأرض، حتى أصبح جمالها وخضرتها وأزهارها لها علاقة وثيقة في أغراضه الشعرية، حيث أصبحت لها أثر في نفسية الشاعر ومشاعره، وثقافته وإبداعه في جمال الطبيعة، عندما تطورت الطبيعة تغيرت نظرتة إلى الطبيعة. (19) حيث اعتمد شعر الطبيعة على الحرية ومربوطة صيانة بالعاطفة والوجدان، إبداع الشاعر في الصور المستوحاة من الطبيعة من أزهارها ورياحينها وأشجارها فالطبيعة الأندلسية وغنية عن التعريف لجمال وأرضها وزهارها وأنهارها وديوانها.

طبيعة خلابة راقية في الجمال فالشاعر في الأندلس يختلف عن شعراء غيره، كأنه رسام يرسم لوحة فنية في قمه الإبداع، يلم بجميع جوانبها، فالمقطوعات التي خلفها الأندلسيون هي لوحات مختلطة الألوان زاهية تجذب الناظرين، وتستوقف نظره وتثير انتباهه لجمال رسمه. (20)

يعتبر ابن خفاجة من أول شعراء الطبيعة رسم مواطن الجمال في بيئته فأدرك مقاييسه وعرف سره، وجعلها تحس بإحساسه وتعبير عن وجدانه. وهناك عوامل شجعت ابن خفاجة بينها الاتجاه إلى الطبيعة ليعبر عن ما بداخله من عواطف وأحاسيس، والالتزام في أحضانها، بينها "أن الحياة الاجتماعية ومن بينهما حياة البلاط والترف في عهد ملوك الطوائف اثرت في اهتمام الشعراء بالطبيعية وما حولها". (21) إلى جانب التوتر والقلق والخوف الذي عم طوائف الأندلس بفعل ظلم حكامهم.

ولقد أعزم ابن خفاجة بالطبيعة فهم بها وربطها بأحاسيسه وعواطفه ومشاعره، وكان شعره غالباً ما يتحدث عن الطبيعة، ومزجها بأغراضه الشعرية المختلفة فعانقها وحكها محاكاة الأحياء، كما كان يغازلها كأنما يغازل العاشق عشيقته بكل تقاصيلها، وهذا ليس غريباً عند ابن خفاجة، فهو الذي جعل حياته للطبيعة والشعر، كان يصور كل صورة كما شهدها لنفسه وسيطرت عليه روح الفرح والاستمتاع بالحياة، وتتجلى فيه الروح الأندلسية، ينتزه في جمالها ومعانيها ويعبر عنها تعبيراً يفيض حبوراً. (22)

لقد كان لنشأته المرحلة دور كبير فقد ساعدته على دقة التعبير عن معانيها كان يلوح في الأفق مثل الطيور التي تغرد عند استقبال الربيع مبهجة مرحة فرحانة، إنه لم يترك شيئاً من جمال الطبيعة إلا وشخصه ووصفه بكل أحاسيسه وعواطفه، فوصف الطبيعة الصامتة بأشجارها وبرياضها وأزهارها وأنهارها وجبالها، وما مرتبط بها من غيوم وأمطار ورياح... الخ. ومن الصعب أن نتحدث عن أشكال واختلاف كل ما يتعلق بالطبيعة على كل صنف لوحده، وذلك لا بد من الامتزاج بين مظاهر الطبيعة وكل ما يتعلق بها من اخضرار واحمرار واصفرار، واغصان وأوراق وأزاهير ونوار وطيور ومياه صافية، وذلك الامتزاج وجمعها وتداخلها في إطار واحد ودمجها في صورة جميلة كلوحة فنان يرسم لوحة فنية متداخلة الألوان تلفت

الناظرين، تخطف الأنظار وهو في الروضيات أكثر احتياجاً إلى التنويع . (23) اندرج تحت هذا العنوان أصناف عديدة وهي: الروضيات، والزهريات، والثلجيات، وغيرها.

أولاً: الروضيات

1- وصف الروض في الربيع

الروضعة في الربيع هو منظر جميل خلاب فيه تلبس الأرض خُليها الخضراء، وتزهر بمناظر رائعة، يعبر عنها الشعراء من قوة وحيوية ونماء، فيه تشريح الأنفوس وتنشيطها، فيه الحياة بعد الشتاء وتشرق فيه الشمس وتغرد فيه الطيور، وفيه صوت مياه الأنهار العذبة ويحمل الأنسة والارتياح، ويذهب بنا إلى الخيال لنعبر عن كل وجدان مما يحمل القلب من عواطف وأحاسيس نابغة من وجدان بعد شتاء صامت مترمت فينبعث الشعراء يوقعون على أصوات وأناشيد الغرام وأغاني الاشتياق. (24)

وقد فتن ابن خفاجة بجمال وسحر الطبيعة فهي مليئة بالجواهر الملونة تفتح النفس وتروق، ويجد الإنسان فيها كل ما يحتاجه، وذلك أن يجعل من الحياة ملعباً فسيحاً، وألتقت إلى ما في هذه البيئة من عناصر حيث يقول :

وَمَجْرٌ ذَيْلِ غَمَامَةٍ قَدْ نَمَّتْ
وَشَيْءَ الرَّبِيعِ بِهِ يَدُ الْأَنْوَاءِ
الْفَيْتُ أَرْخَانَا هُنَاكَ بِقَبَّةٍ
مَضْرُوبَةٍ مِنْ سَرِخَةٍ غَنَاءِ
وَقَسَمْتُ طَرْفَ الْعَيْنِ بَيْنَ رِبَاوَةٍ
مُحْضَرَةٍ وَقَرَارَةٍ زَرْقَاءِ
وشريئها عذراء تحسب أئها
معصورة من وجنتي عذراء

يصور لنا مشهداً طبيعياً في العلو سحابة تمر مجر ذيل غمامة كأنها تجر ذيلها في الهواء كأنها تجر مطراً خلفها، نمنمت الأرض زينتها بجمال الربيع شبه المطر بالأنواء عندما سقطت على الأرض جعلتها خضراء مزينة بالألوان، ينتقل الشاعر ألقى أرحلنا يوصف لنا شجرة تحتوى ظلاً جميلاً رائعاً، كأنها مظلة تحميها من الشمس جعلها مكان الأنسة مع رفاقه تحت شجرة عظيمة متشابكة الأغصان، ويختم اللوحة بلمسه إنسانية كأس خمر شربته عذراء فجمع حسن الطبيعة ورقة الشراب في مكان واحد يصف لنا الشراب غير مضاف إليه ماء كأنه معصور من وجنتي عذراء، أبداع في رسم الصورة التي تجمع بين المرأة والخمر، والقصد يجمع ابتهاج الطبيعة بعد الغيوم ومطر مع الأنسة والتراب في صورة جمالية واحدة، تؤلف رسم لوحة فنية لهذه الطبيعية من الألوان الثلاثة، وها هو ينقل إلى مكان آخر يبين لنا حين نثرت أزهارها على الربيع أفاضت عليه رونقاً زاد جمالاً حسناً. حيث يقول :

أَذِنَ الْغَمَامُ بِدِيمَةٍ وَعُقَارٍ
وَارْبَعٍ عَلَى حُكْمِ الرَّبِيعِ بِأَجْرِعِ
فَأَمَزَجَ لُجَيْنًا مِنْهُمَا بِنُصَارٍ
هَزَجَ النَّدَى مِنْ مُفْصِحِ الْأَطْيَارِ
مُنْقَسِمِ الْأَلْحَاطِ بَيْنَ مَحَاسِنِ
مِنْ رَدْفِ رَابِيَةٍ وَخَصْرٍ قَرَارٍ (25)

"أذن الغمام" كان سمح الغيم وأجاز بنزول المطر لسقيا مطر يدوم هادئ دون برق ورعد وخوف "لجين اللجين" اللجين هو الفضة كناية عن الماء الصافية شبه بصفاء الحمر "نصار"، الذهب اللامع كناية عن الخمر الصفراء اللامعة مزج الشاعر بين الذهب بالخمر اللامع والفضة بالماء الصافي، الصورة البلاغية في هذا كان الربيع أميراً حاكماً يجعل الناس يقف عنده والتمتع بمنظر

جماله. "الهزج" الغناء الطيور عندما تغنى في الصباح الباكر وخاصة في فصل الربيع، كأنها تحكى على شيء جميل وكأنها تشارك الندامى غناء هم مزج بين أصوات البشر والطيور في الغناء، وكأنها لوحة فنية مختلطة الألوان في انسجام تمام. (26) "منقسم اللاحاظ" أي العيون تنضر إلى الجسم من محاسن الجمال والأرداف الممتلئة ورشاقة الخصر، رسم صورة حسية مثيرة بين الامتلاء والنحول مما يزيد من فتنة الجمال.

وروضيات ابن خفاجة شائعة يدعيه وهي ناتجة من بيئة فنية ومن وحى الخيال ومن مجالس الأوس واللهم والمرح، وجمع مشاعرنا بين وصف الروض والمرح. (27) فيقول:

أحسُّ المُدَامَةَ وَالنَّسِيمَ عَلِيلُ
والنورُ طَرَفٌ قَدْ تَنَبَّهَ دَامِعُ
وَنَظَّلَعَتْ مِنْ بَرَقِ كُلِّ عَمَامَةٍ
وَالظِّلُّ خَفَاقُ الرِّوَاقِ ظَلِيلُ
والماءُ مُبَسِّمٌ يَرُوقُ صَقِيلُ
فِي كُلِّ أَفْقٍ زَائِبَةٌ وَرَعِيلُ
رَيًّا وَعَصَّتْ تَلَعَةً وَمَسِيلُ
عَطَفَ الأَرَاكَةَ فإِنشَى شُكْرًا لَهُ
طَرِبًا وَرَجَعَ فِي العُصُونِ هَدِيلُ
فألرَّوضُ مُهْتَزُّ المَعَاطِفِ نَعْمَةٌ
نشوانٌ يَعِطِفُهُ الصَّبَا فَيَمِيلُ (28)

فهو يدل على شرب الخمر في الجو الجميل الهادئ والنسيم والظل الظليل، الذي يجعلهم في حالة رواق فوقهم، وقد شبه الزهر بالغصن الذي تنبتة وقطرات الندى كالماء بيلله، وفي قوله "طرق داعم" أبرز حين جاء بالدمع لأنه لا يناسب جو اللهم والشراب، والدليل على ذلك في قوله والماء مبتسم"، لينقل القارئ إلى متعة التأمل بين المتضادات. أما الأشجار فتتحرك غصنها مرجع الحمام يغني فوقها ، والروض نشو يعانقه نسيم الصبا فيتمايل طرباً.

ثانياً: وصف الأشجار

مستمداً هذا الوصف من الطبيعة الخضراء الخلابة فائقة الجمال يصور لنا مشهداً من بيئة حية يندرج إلى وصف شجرة مزهرة وماء سائلاً، فيقول :

يا رُبَّ مَائِسَةٍ المَعَاطِفِ تَرْدِيها
مِنْ كُلِّ غُصْنٍ خَافِقٍ بِوِشَاحِ
مُهْتَزَّةٍ يَرْتَجُّ مِنْ أعْطَافِها
ما شِئْتُ مِنْ كَفَلٍ يَمُوجُ رَدَاحِ
نَقَضَتْ ذَوَائِبِها الرِّياحُ عَشِيَّةً
فَتَمَلَّكَتْها هِرَّةُ المُرْتِياحِ (29)

يصور لنا الأشجار في مشهد كأنها فراشات ترقص مع حركة الريح تعطي البستان منظراً جميلاً لألوانها وتمايلها مع حركة الريح. نجد أن خفاجة كان يصف لنا امرأة ممتلئة الجسم أم شجرة ممتلئة الأزهار فائقة الجمال فهي مائسة المعاطف استعار الأزهار لكثرة ألوانها وجمالها بالوشاح لما يحمل غصن الشجر من نور فتتهز أغانها ويميل كفلها، وقد نفصها الريح فتتهزرت المرتاح.

وإذا كان الأندلسيون قد تميزوا بوصف الطبيعة، (30) فإن ابن خفاجة تميز عن الجميع ببعض القصائد لوصف شجرة بعينها ويحللها ويدركها من جميع جوانبها، يرى فيها الأزهار عوداً تزينها وثمارها كأنها كواكب الأغصان سوائف حيث يقول:

وَأَرَاكَةَ صَرَبَتْ سَمَاءً فُوقَنا
تندى وَأَفْلاكُ الكُؤُوسِ تُدَارُ
حَفَّتْ بِدُوحِها مَجْرَةٌ جَدُولُ
ننَّرتْ عَلَيهِ نُجُومُها الأَزْهارُ
وَكَأَنَّها وَكَأَنَّ جَدُولَ ماِبِها
حَسَناءُ شُدَّ بِخَصْرِها زِنارُ
رَفَّتِ الرُّجَاجُ بِها عروسَ مُدَامَةٍ
تجلى وَنُوارُ العُصُونِ نِثارُ (31)

هذه الأبيات تمثل لوحة بديعية في اختلاط بين الطبيعة والأنسة والشراب في مشهد خيالي. صور مكان الشراب تحت شجرة الأركة متشابكة الأغصان ظلها السماء والجداول مجرة والأزهار والنجوم والكؤوس كواكب تضيء في السماء حسناء شد بخصرها زنار حزام ترتديه النساء في الخصر ليبين جمال الخصر المعنى أن الشجرة من الجدول كفتاة جميلة ضمت خصرها بحزام "رَفَّتِ الرُّجَاجُ" كؤوس الشراب تزف كأنها عروس جميلة لجمال الشراب في كؤوس، شبه بجمال عروس ونوار الغصون تتناثر ما ينثر من الدراهم والدنانير فوق العروس يوم الزفاف.

فلقد اجتمع فيه هذه الروضة جمال البيئة الأندلسية وما تحمله من مفاتن وبهجة الطرب.

ثالثاً: وصف الأزهار :

ومن جمال البيئة الأندلسية في شعره وصفه للورود، فهو "عيون الروض كما يقول القدماء" (32) بالرغم الشعراء الأندلسيين لم يقفوا في وصف الزهور والورد بل وقفوا إلى جانب كل زهرة وردة ووصفوها وما تتميز به ليعبروا عن دقة مشاعرهم وأغرامهم بجمالها.

وقد أبدعوا في فن الزهور شكل ملحوظ في بيئة الأندلس ومن الأشياء التي ساعدة على انتشاره كثرة الورد واللجوء الاجتماعي المريح وطبيعة ملائمة وعشق الملوك للطبيعة والأزهار وحياة المرح واللهو وصف ابن خفاجة وغيره من شعراء الأندلس الأزهار للتعبير عن علاقتهم الاجتماعية، كأن هذه الأزهار ورقة يكونون فيها وكأنهم يريدون القول وبأعلى صوت حبهم وعشقهم لهذه الأزهار بأنهم يكيرون بها ومغرمون بها لذاتها وليس لشيء آخر فهم تذكرهم بشيء من حياتهم ومشاهدات في المجتمع.

ولقد أبدع ابن خفاجة بحبه للطبيعة وأعجابه به وهي تمثل حياته بكل تفاصيلها من حياة، فقد أدرك سر جمالها وصفها بكل عناصرها فوصف النرجس والريحان والبنفسج... وغيرها وأدمجها بما في البيئة الأندلسية من مظاهر الإبداع "إن الطبيعة بكل ما تتطوي عليه من أشياء وجزئيات وظواهر هي المصدر الأساسي لإمداد الشاعر بمكونات الصورة" (33). كما جاء وصفه لزهو الخيري وتحمل من جمال وعطور فواحه ينتشر عطرها ليلاً مع النسيم العليل يريح النفس بعطرها فقال يصفها :

وَحَيْرِيَّةٌ (34) بَيْنَ النَّسِيمِ وَبَيْنَهَا
لَهَا نَفْسٌ يَسْرِي مَعَ اللَّيْلِ عَاطِرٌ
يَدْبُ مَعَ الْإِمْسَاءِ حَتَّى كَأَنَّمَا
وَيَخْفِي مَعَ الْإِصْبَاحِ حَتَّى كَأَنَّمَا
حَدِيثٌ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ يَطِيبُ
كَأَنَّ لَهُ سِرًّا هُنَاكَ يَرِيبُ
لَهُ خَلْفٌ أَسْتَارَ الظَّلَامِ حَبِيبٌ
يَظَلُّ عَلَيْهِ لِلصَّبَاحِ رَقِيبٌ (35)

يصور لنا في هذه الابيات النسيم كائن حي له علاقة مع الشجر، فهو لا يتحدث عن شجرة تتحرك مع النسيم، بل يتحدث عن عاشقان يتبادلان الكلام أي في لطف وحركة بها وجمال في الحركة مع بعضها أي يتحرك النسيم مع الليل محملاً بعطر الزهور، كأن للنسيم سر في عمق الليل، تهدأ الشجر ويمتلئ الليل بالروائح العطرة الفواحة النسيم مثل العاشق الولهان الذي يظهر في الليل يحاكي حبيبته ويخفي في الأصباح مع بزوغ النهار، كأنما يظل عليه الصباح رقيب النسيم، مثل الحبيب الذي يظهر في الليل سري ويخفي فيه، ولكنه يظل متابعاً للشجرة بعين خفية. الشاعر يصور النسيم والشجر له علاقة حميمة جعل النسيم كائن حي له أحاسيس وعواطف وعاشق استعارة الظلام كشار يخفي الحبيب والنسيم عاشق خفي، وتصويره حي حيث بعث في الجماد الحياة والحركة.

أما زهرة الشقيق فقد وصفها ابن خفاجة بكل تعابيرها وصفاً دقيقاً حين اختار صورتها من البيئة الحزينة، حيث قال :

يَا حَبْدًا وَالْبُرْدُ يَزْحَفُ بَكَرَةً
حَتَّى إِذَا وُلَّى وَأَسْلَمَ عَنُودَةً
جِيشًا رَحِيقٌ دُونَهُ وَحَرِيقٌ
مَا شِئْتُمْ مِنْ سَهْلٍ وَذُرُودَةٍ نَيْقٍ (36)
أَخَذَ الرَّبِيعُ عَلَيْهِ كُلَّ تَنِيَّةٍ
فَبِكُلِّ مَرْقَبَةٍ لَوَاءٍ شَقِيقٌ (37)

نجد أن الصرعات والحروب والفتن أنها كلها أثرت على خيال الشاعر في الأندلس، حيث صور لنا تصارع بين الفصول والزهور في لحظة حربية يصور البرد يزحف بكرّة حتى إذا ولى وأسلم عنودة أخذ الربيع عليه كل تنية نجد أن الصراع والحروب والفتن أنها كلها أثرت على خيال الشاعر في الأندلس، حيث صور لنا تصارع بين الفصول والزهور في لحظة حربية يصور البرد يزحف بكرّة حتى إذا ولى وأسلم عنودة أخذ الربيع عليه كل تنية نجد أن الصراع والحروب والفتن أنها كلها أثرت على خيال الشاعر في الأندلس، حيث صور لنا تصارع بين الفصول والزهور في لحظة حربية يصور البرد يزحف بكرّة حتى إذا ولى وأسلم عنودة أخذ الربيع عليه كل تنية

اليوم من صقع الصباح إلى دفء الشمس. تم استلاء الربيع على كل وادي وسهل وجبل هذه معركة طريقة بين معطيات البيئة الأوضاع غير ثابتة، أثرت في هذه الصورة الأندلسية.

يصور لنا نوع آخر من الزهور عند ابن خفاجة .. لم يقف وصفه الأزهار أو الحديث عن لون واحد، بل كان يقارن الأزهار بالحدود والعبير بالعيون والميسم بالأقحوان والأسى بالبنفسج مع الأقحوان، حيث يقول :

وَإِلَاسٌ (38) صَدْعٌ وَالْبَنْفَسُجُ خَالٌ (39)

وقوله أيضاً في تشبيه النرجس بالعيون عندما تجمع بينه وبين الأقحوان وصفه ليوم أنس :

وَعَارِزْنَا جَفْنٌ هُنَاكَ لِنَرْجِسٍ وَمُبْسَمٌ لِلْأَقْحَوَانِ شَبِيبٌ (40)

يرسم لوحة فنية رائعة من الطبيعة الخلابة عند تلاقي العيون مع ضياء الشمس والنرجس تبعث الجمال والبهجة والانسجام وكأنها الطبيعة تغازل الحواس، وقد باتت الأزهار والورود تبعث مظاهر الفرح والمسرّة والراحة والبهجة والنغم في نفسية الإنسان.

رابعاً: وصف المائيات والتلجيات:

إن دقة ورومانسية جمال الشيء يعتبر محفزاً ومثيراً للمشاعر، ولكن ليس دائماً أماكن وكجالس اللهو والمرج والشرب التي تعقد في أطراف هذه البيئة وتحت ظلال أشجارها وعلى جوانب أنهارها لا تقل عن جمال المكان، أن تعتبر من الأشياء المكملّة والمتممة لذلك الجمال. (41) وابن خفاجة لم يشغل نفسه قصائده بالحديث على نهر معين أو بركه أو وادي معين، بالرغم من ذلك فإن اثر البيئة الأندلسية واضحاً في الأبيات التالية حيث وصف سيلا حدث بالجزيرة يقول فيها :

الأطمُ بَحْرٌ أَتَيْ طَمَا
فَأَهْوَتْ تَخِرُّ هُنَاكَ الْبِنَى
وَعَالَتْ كَأَنَّ عَلَيْهَا صَلَاةً
فَبَعْضُ رُكُوعٍ وَيَعْضُ سُجُودٌ (42)

الشاعر يفتح الابيات بصوت قوي يضعنا أمام مشهد لا يقام مشهد عظيم فيضان البحر وكثرت سقوط المطر، بمائها العزيز. وبين ابن خفاجة ما أحدثته هذه السيول إلى انهدام المباني وجرف كل ما أمامها وصور هذا المشهد الذي استمدته من البيئة الإسلامية متمثلاً في الصلاة وأركانها من ركوع وسجود، وكذلك شبه بخصول الملوك واستقبالهم للوفود.

وقد ابدع ابن خفاجة في رسم صوره للنهر وكأنه يتغزل في محبوبته في هذه الأبيات المفعمة بالتشبيهات فيقول :

لِلَّهِ نَهْرٌ سَالَ فِي بَطْحَاءِ
قَدْ رَقَّ حَتَّى طُنَّ قُرْصاً مُفْرَعاً
وَلطالما عاطيْتُ فِيهِ مُدَامَةً
صَفْرَاءُ تَحْضِبُ أَيْدِي النَّدْمَاءِ
وَالرَّيْحُ تَعَبْتُ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى
ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ (44)

تدل هذه الصورة الرائعة على مدى حب وغرام ابن خفاجة للنهر ولوعاً به، فهذا النهر قوساً محاط برودة خضراء أي ثوب من الأشجار صورة تشبه النهر بقوس فضي ملفوف بسبب لمعانه وصفائه، ولربما شرب الخمر على ضفتي النهر في قارب جليسة أنس ولهمو، والريح تداعب الأغصان، والغروب يرسم على صفحة الماء، فضة، وذهب في منظر شاعري خلاب. أما التلجيات عند ابن خفاجة قد وصفها متأخراً، كان أول شاعر يصف لنا التلجيات في الاندلس. وصف لنا الطبيعة بعد سقوط حبيبات الثلج. يقول في ذلك:

يَا رَبِّ قَطْرٍ جَامِدٍ حَلَى بِهِ
حَصَبِ الْأَبَاطِحِ مِنْهُ مَاءٌ جَامِدٌ
نَحْرُ الثَّرَى بَرْدٌ تَحَدَّرَ صَائِبٌ
غَشَى الْبِلَادَ بِهِ عَدَابٌ دَائِبٌ (45)

وقوله أيضاً :

فالأرض تَضْحَكُ عَنْ قَلَائِدِ أَنْجَمٍ
نُثِرَتْ بِهَا وَالْحَوْ جَهْمٌ قَاطِبُ
وَكَأُنْمَا زَنْتِ الْبَسِيطَةُ تَحْتَهُ
فَأَكْبُ يَرْجُمُهَا الْعَمَامُ الْخَاصِبُ (46)

وهو يقابل بين ضحك الأرض وعبوس الجو يصور لنا غزيراً، وجعل القطر كأنه حبات ثلج يغطي الأرض بالثلوج، شبه الأرض بالمرأة ذات النحر الثرى فيه، استعار الأرض بالثلوج كأنها جسد يتزين بالبرد والمطر، عادة يوصف بالرحمة ولكن هنا صار عذبا، كثرة مائه يعرف ويؤدي مثل النار وجعل حبات الثلج التي تسقط على الأرض كأنها امرأة زانية ترحم والغمام يرحمها مقيم الحر عليها ابن خفاجة استمدها من ثقافته الفقهية، حيث أنه قال هذه الأبيات في أواخر أيامه ثقلت عليه الآلام والتحسر على ما فات (47) وتاب، يبدو في أواخر أيامه ثم ينتقل معبراً على بعض مجتمعه كيف تحول الناس إلى أشرار يغيضون السماء حيث قال :

أَلَا نَسَخَ اللَّهُ الْفُطَارَ (48) حِجَارَةً
وَكَانَتْ سَمَاءُ اللَّهِ لَا تُمَطِّرُ الْحَصَى
تَصُوبُ عَلَيْنَا وَالْعَمَامَ (49) غُومًا (50)
لِيَالِي كُنَّا لَا نَطِيشُ حُلُومًا
فَلَمَّا تَحَوَّلْنَا عَفَارِيثَ شِرَّةٍ
تَحَوَّلَ شُؤْبُوبُ السَّمَاءِ رُجُومًا (51)

استمد ابن خفاجة هذه الأبيات من ثقافته الدينية تربط الأبيات بين حال الإنسان والطبيعة والمطر التي كانت تنزل من السماء رحمة وشفاء صارت تنزل حجارة كناية عن العذاب مثل ما وقع الأقوام كقوم لوط. إن استبدال الناس وانحرافهم وتحول الصلاح إلى الشر عاقبهم الله في الدنيا أنزل عليهم مطراً كأنها حجارة ترجمهم هذه الابيات تذكرنا بآيات في القرآن عذاب قوم لوط: (طَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ) (52) وقوله: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) (53) إذن الشاعر جعل شعره يحمل معنى الوعظ والتحذير هذه الآيات مستوحاة من العذاب السماوي في القرآن .

ويقول أيضاً واصف الثلج وهو يتساقط كأنه ازهار تملأ السهول، حيث يقول:
فَكَلْ نَجْدٍ وَوَهْدٍ قَدْ أَطْلُ بِهِ
رَوْضٌ تَجَلَّى بِبُورٍ مَا لَهُ ثَمْرُ
وَلِلْأَقَاجِي تُعَوَّرُ فِيهِ بِاسِمَةٍ
لَهَا مِنَ الثَّلْجِ رِيقٌ بَارِدٌ خَاصِرُ
كَأَنَّ فِي الْجَوِّ أَشْجَارًا مُنَوَّرَةً
هَبِّ النَّسِيمِ عَلَيْهَا فَهِيَ تَنْتَشِرُ (54)

هكذا فإن الثلجيات لم تحض اهتمام كبير من شعراء الاندلس، الدليل على ذلك صعوبة الثلج في سد وقفل الطرقات والبرد القاسي على الجسم وتعطيل للحركة ونشاطهم والحاق الضرر .

بالرغم قساوة الثلج ولكن ما تقع عليه العين انه منظر جميل، كما تتساقط الثلوج من السماء على الأرض كأنه قطن يتطاير منظر خلاب وجذاب يبعث في النفس الفرح والمرح وينزل على السفوح ويلبس الأرض بياضاً منظرًا جذاب في الجبال والسهول والاغصان يكسوها جمالاً يحس بالمتعة قد لا توفرها سمات روضه.

من أوصاف ابن خفاجة إلى الطبيعة الصامتة وكذلك وصفه إلى الليل الذي يعتبر غطاء العشاق، أو مكان أحزانهم ومذكرات أحزانهم ، فكل عاشق لا يرى إلا الظلام مكان غايته، وذكر المحبوبة بعيداً عن أعين الرقباء والعشاق أكثر من وصفهم الليل، متأثر بالبيئة الأندلسية من المظاهر الطبيعية الخلاب، وكان ذكرهم إلى الليل كثيراً حيث كان أيام شبابهم يقضون معظم الوقت مع معشوقاتهم على جوانب الأنهار ويمرحون باللهو والمرح وشرب الخمر، والليل عندهم مختلط بالخمر عند المنادمة، حيث يقول :

نَادَمْتُهَا لَيْلًا وَقَدْ طَلَعَتْ بِهِ
شَمْسًا وَقَدْ رَقَّ الشَّرَابُ سَرَابًا (55)

وقد جانس وصف الليل بمشاهد من البيئة قضيينا الليلة في لهو أو مجالس والبدل انتهى بطولوع الشمس، إن الشراب الذي تناوله كان لطيفاً لكنه زائل كالشراب يدل على سرعة انقضاء الأشياء الحلوة الشراب شبه بالسراب متعة جباله زائله.

أما البحر فقد وهو وصفوا البحر كغيرهم من الشعراء ولكن شعراء الأندلس وصفوا البحر من حيث المياه ولم يتجاوز الشكل ولم يبدعوا في وصفهم له، بل كانوا خائفين عند ركوبهم عبر البحر دائماً يخشون الملاحه، لأنهم لم يكونوا كثير بن الأسفار عبر البحر، وكانوا دائماً يتقادون حتى في غزواتهم خوف أن يكون عائق لهم أثناء غزواتهم.

كما نرى وصف ابن خفاجة البحر، فتراه يصور الممدوح بفيض البحر قوله :

شَاهَدْتُ مِنْ هِمَاتِهِمْ وَهَبَاتِهِمْ
إِشْرَافِ أَطْوَادٍ وَفَيْضِ بَحَارِ (56)

يصور ابن خفاجة في هذه الابيات حركة الريح القوية تجعل البحر في حالة هيجانه الأمواج ترتفع إلى أعلى مثل الجبال وهي تعانق السماء، وصف البحر بالكائن الحي واصطدام الأمواج بالصخر، وكأن الأمواج تصدر صوتاً أو زئيراً، أصوات الأمواج تشبه الحياة النابضة المفعمة بالحركة والحيوية والنشاط تدفق الماء على الشاطئ وسط عظمة البحر يدل على فعل الرؤية مباشرة، وليس مجرد تأمل لهذه الحقيقة قوة وعظمة البحر والرهبه والدهشة في حركة البحر كائن حي ملئ بالطاقة والحركة، تشبه الامواج العلياء شبه بالجبال، مما يدل على ترابط وقوة الطبيعة. ويقول لنا في أبيات اخرى نادماً على ركوب البحر تائباً إلى الله وعدم العودة في قوله:

لَئِنْ كُنَّا رَكِبْنَا ضَلَالًا
فَيَا اللَّهَ إِنَّا تَائِبُونَ
فَأُخْرِجْنَا عَلَى الْمَرْغُوبِ مِنْهَا
فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (57)

يقول ركبا ظللاً مواجهة الحقيقة دون إنكار النداء الله (فيا الله) يقضى أبعداً روحية ويجعل الدعاء مباشرة وحميمياً (إنا تائبونا) فيه العودة للحق والابتعاد عن الخطاء " فأخرجنا " أي قدنا إلى طريق الحق، يحمل هذا البيت توبة واعتراف بالأخطاء وقد رده على لسان أهل النار وهي قوله تعالى: (أَلَا رَبَّنَا عَلَبْنَا عَلَيْنَا شَقَوْنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) (58). ومن مظاهر البيئة الطبيعية وصفه للجبل، وقد جاء وصفه للجبل بقوله:

وَأَزَّ عَن طَمَاحِ الدَّوَابِّ بِإِذِ
يَسْدُ مَهَبِ الرِّيحِ عَنِ كُلِّ
يُطَاوِلُ أَعْنَاقَ السَّمَاءِ بِسَخَارِبِ
وَجْهَةٍ وَيَرْحَمُ لَيْلًا شُهْبَهُ بِالْمَنَاقِبِ (59)

يقول فهو جبل عالي القمة يصل إلى أعناق السماء، إذا أنه يسد مهب الريح من كل الجهات، ويحجز شهب الليل بمناكبه.

المطلب الثاني: وصف الطبيعة المتحركة

كما أعزم شعراء الاندلس المنظر الطبيعي الساكن في: الفواكه، والازهار، والماء وغيرها عشق الجمال الطبيعي المتحرك ممثلاً في الخيل والابل والذئب والكلاب والحمام والقطط وغيرها من الحيوانات، فشعراء الطبيعة المتحركة قدموا كثيراً عن الطبيعة المتحركة حتى قبل ظهور الاسلام والطبيعة المتحركة تمثل ما تمثله الطبيعة الساكنة، وتعلق الشاعر بالطبيعة ووضعها من جميع جوانبها يتعلم بأسلوب الشاعر وحبه للطبيعة " وكان الشعر في أول أمره رجزاً وقطعاً" (60)، ولقد تطور الشعراء منذ القدم في وصف الناقة والفرس وكذلك الكلب والذئب أثناء خروجهم للصيد ووصفوا أثناء ترحالهم وما تعرضوا له من خلال سفرهم من مشاق الطريق. (61)

أما البيئة الاندلسية فهي متميزة عبر عصورها بالجمال الطبيعي الجذاب بأزهارها وورودها ونبانها ومناخها وأرضها خصبة خضراء وكثرة المياه العذبة والثمار والزرع جمال خيالي يعيشه الشعراء أخطف أنظارهم وما يعيش على هذا الطبيعة من أصناف الحيوانات، وكذلك أضاف الأندلسيون التقدم العمراني الذي يزدهر في البيئة الأندلسية، وكان ذلك بارزاً في وصفهم للحيوانات، مما أكد ارتباط وثيق بين الحيوان والبيئة الأندلسية، ولقد ظهر في صور شعرية. كما وصف الفرس تمثل صفات أرق ما يمكن أن تكون في البيئة الحديثة بيئة الروض والزهرة وما يعلوها من مصابيح في السماء. وصفو الفرس أشقر الشعر أحمر اللون حيث يقول :

وَأَشْقَرٌ تُضْرَمُ مِنْهُ الْوَعْيُ
بِشَعْلَةٍ مِنْ شَعْلِ الْبَاسِ

مَنْ جُلُنَارٍ (62) نَاصِرٍ لَوْنُهُ
وَأُدْتُهُ مِنْ وَرَقِ الْأَسِ
حَبَابَةٌ تَضْحَكُ فِي كَأْسٍ (63)

ويبدو أن المكان مكان حرب وقتال إلا أن الشاعر صور شقرة الفرس شعل النار أو القوة والهيبة ملتبهة، أوقد نار الحرب وهو يشبه الجلنار نبات الزينة أو فاكهة الرمان مشرق حي، ولقد أحاط صوت الفرس بالنشوة والطرب ناحية الفرس مثل كأس من حمر أي الشاعر وصفه للفرس، وصفه يلامس حياته صور الفرس بكأس من الخمر احتوت هذه الصورة على سمات الجمال لتكتمل صورته الجواد، وكذلك نجده وصف الفرس ومزج وصف البحر بالفرس يدل على تعلق الشاعر بالبيئة التي يعيش فيها وتأثره بها، حيث يقول :

لَاطْمُتْ لُجْبَةٌ بِمَوْجَةٍ أَشْهَبَ
يَرْمِي بِهَا بَحْرَ الظَّلَامِ فَيَرْتَمِي (64)

وهذه الأبيات تدل على اتحاد صف صورة البحر والفرس في القوة والعنف والرغبة والشجاعة والحيوية والثبات والقدرة والحركة العنيفة مليئة بالطاقة والبحر والفرس مثل القوة الطبيعية الجامعة لا يمكن السيطرة عليها . كما جاء وصف الشاعر الأندلسي الإبل واهتم بها مثلها مثل الحيوانات الأخرى، على الرغم من ذلك أن الأبل لم تعرف ببلاد الأندلس، وأن أصلها ونشأتها الأولى جزيرة العرب وبلاد المغرب، بما تحتوي على صحاري وقار كبيرة، الإفادة من هذا الحيوان تحمل عبء المسافات وشق الصحاري والرمال المتعبة يدل على قوة الصبر والتحمل. (65) وكذلك جاء وصفه الأبل : يشير الشاعر إلى الإبل بالمطي ليس مجرد حيوانات بل تمثل شريكا في الرحلة والتجربة تشير من خلالها إلى الانسجام استلام هادئ تنفس عميق إحساس بالراحة والرضا راحة نفسية رغم التعب أو الشوق والمكان يظل صامت تعكس حضور التاريخ والزمن.

كذلك يتطرق إلى وصف الناقة في مجال العزل عندما عطفت المطايا على ديار المحبوبة فوقف لتحتيتها قائلاً:

وَعُجِبْتُ الْمُطَايَا حَيْثُ عَاجَ بِي الْهَوَى
فَحَيَّتْ مَا بَيْنَ الْكَثِيبِ إِلَى الْجَمَى (66)

نرى الشاعر وصف الناقة عبر عن ارتباطه بالبيئة الأندلسية وتأثر القوى بما فيها، فلقد اتخذ الناقة وسيلة للتنقل والترحال عبر حياته، والناقة وصله الوصل بين المحبوبين عبر المسافات والناقة تشارك الشاعر في رحلته وشوقه وحنينه الإبل متأثرة بحركة الهوى والعاطفة تنتقل بحيوية وشرع خطوتها مع إثارة الشاعر أو تغيير المزاج، مشاعر الإنسان قوية فتؤثر على الطبيعة والحيوانات.

وصف الذئب:

وجاء شعراء الاندلس وصفهم إلى الذئب ذلك الحيوان المفترس الموجود بالأراضي العربية وشبه الجزيرة وفي الصحراء وفي جميع الأنحاء، ولا يكاد أن يخلو من أي مكان وقد صور الشعراء علاقتهم بهذا الحيوان ومن خلال جوانب متعدد وما يعانیه من جوع وتشرد في تلك الصحاري، وما يعانیه ذلك الشاعر من ضيق وألم، ويصور ابن خفاجة في هذه الأبيات بعده عن الأهل والغربة لا صديق ولا قريب إلا صوت ،زائر فالذئب والنسر مفترسان ضاران، حيث يقول :

فَإِنْ لَمْ يَزُرْهُ صَاحِبٌ أَوْ خَلِيلُهُ صَوْرٌ
فَقَدْ رَاَهُ نَسْرٌ هُنَاكَ وَذَيْبٌ (67)

صور ابن خفاجة هذا الحيوان عبر الرحلة الليلية في الصحراء والمخاوف من الفزع والظلام، يريد ابن خفاجة أن يصف الحيوان وعلاقته بالطبيعة في حرها وبردها، وكيف يتأثر بها وكيف يتعامل هذا الحيوان مع هذه الظروف. وصف لنا ابن خفاجة هذا الذئب عند مقاومته في أحد رحلاته عبر الصحراء عندما صادفه ذئب جائع استطاع أن يقاومه بكل قوته .

وكذلك ذكر وصفه للحمام :

فقد أشتهر وصفه في الشعر العربي منذ القدم سواء من حيث شكله وجماله أو من حيث علاقته الإنسان به وكان يدخل البهجة والمحبة في نفسه الأديب، وكان شعراء الأندلس مهتمين بهذا الجانب وما يحويه.

وتأثره معتمداً على بيئة أندلسية ذات الأشجار الشاهقة والأغصان الملتفة والثمار والأزهار الفواحة وكثرة البساتين وجمالها، مما يساعد على كثرة الطيور فيها وهي تغني وترقص فوق الأغصان الملتفة، ويرى الشاعر للحمام دور كبير في مجالس

الأنس، وأضاف البهجة والسرور وصور في هذه الابيات غناء الحمام يقول :

سقيا ليومٍ قد أنحْتُ بِسِرْحَةٍ ربا تُلَاعِبُهَا الرِّياحُ فَتُلْعَبُ
سَكْرَى يُعَيِّبُهَا الحَمَامُ فَتَنْتَثِي طرباً ويسقيها العَمَامُ فَتَشْرَبُ

لقد جاءت هذه الصورة رائعة تحمل السرور والحبور وتفاعل مكانم الفرح ولواعج المحبة والود.

أما وصف الحمام في مجال الغزل عند ابن خفاجة فيعتبر من أهم الأقوال في كثير من قصائد إذا بعث الفرح في النفوس، وكانت داعية للبهجة واللهو وهو في ذلك يقول:

يَطُولُ عَلَى اللَّيْلِ يا أُمَّ مَالِكٍ وَكُلُّ لَيْالي الصَّعْبِ لَيْلٌ تَمَامٍ
وَلَمْ أَدْرِ ما أَشْجَى وَأَدْعَى إلى الهوى أَحْفَقَهُ تَرْيِيفِ أُمَّ غِنَاءِ حَمَامٍ (68)

وإذا حزن ابن خفاجة تجاوزت معه الحمامة فلا ندرس أيها الولهان العاشق حيث يقول :

وَحَسْبُكَ مِنْ صَبِّ بَكى وَحَمَامَةٍ فَلَمْ نَدِرْ حَقاً أَيما الصَّبِّ مِنْهُما (69)

ولقد عبر الحمام أيضاً عن سر غرامه حيث يقول :

وتفصح عَنْ شُكْرِ العَمَامِ حَمِيلَةً وَيُعْرِبُ عَنْ سِرِّ العُزَامِ هَدِيل (70)

نتعجب حين نرى أن صوت بكاء الحمام بطربه حيث يقول :

ألا أَطْرِبْتِي والكرِيمِ طُرُوبُ حَمَائِمُ تَبْكِي وَالْبُكَاءِ طُرُوبُ
سَجَعَنْ وَعَهْدَى بِالْهوى مُنْقَادِمُ فعاوَدْتُ شَجوى وَالْحُطُوبُ تَنْوِبُ
فان سَاعَدْتُنَا أَعْيُنٌ وَمَدَامِعُ لَقَدْ سَاعَدَتْها أَنْفُسٌ وَقُلُوبُ (71)

ومن الملاحظ أن الأحران سجعها هوى ميتا في نفس ابن خفاجة كان فعاود ألما ترنه من جديد والخطوب تتناوب ولئن ساعدته قلوب ندمع على تحقيق الألم وعيون حزينة وأنفس مهمومه ساعدته على تحقيق الألم.

لقد أبهرت الطبيعة ابن خفاجة كما يحب واستولت على مشاعره، فكانت هناك رابطة قوية بين الطبيعية وابن خفاجة يحبها ويعشقها بكل عناصرها وصفاتها .

المبحث الثالث: الأغراض الشعرية وأثر البيئة فيها

المطلب الأول: المدح

تميز شعر المدح عن غيره من الشعر العربي تميزاً واضحاً يضم السياسة والنفوذ والحكام، فالمادح متفاعل متأثر بهذه الطبقات سلباً وإيجاباً والمدح بجرأ واسعاً من أبحار الشعر العربي يقال فيه بدافع نابع من صدق المشاعر والاحساس أو من خيال كاذب ناتج عن طمع أو خوف. (72)

المدح في عهد ابن خفاجة فكانت في عهد المرابطين فهي فترة التمسك والالتفاف حول رجال الدولة ومرحلة التوبة وكان مدحهم تقديراً لهم، (73) وليس لأمر آخر وديوان ابن خفاجة ملئ بقصائد المدح الطويلة والقصيرة، وكان مدحه شامل مدح الأمراء والقضاة والوزراء، والكتاب وغيرهم وكان ابن خفاجة بدأ حياته مقلد لعدد من شعراء المشرف كالمتمتبي والشريف الرضي ومهيار الديلمي، وهذا أمر ليس خاطئاً لم تكن هناك فواصل بين المشرق والمغرب غير أن الأندلس تفوق في شعرهم على الأسلوب القديم. (74)

ووصفوا الطبيعة والخمر والبلد التي عاش فيها الشاعر وكان مدح ابن خفاجة نابغاً حبه للدولة والمرابطين، وكانت له قصائد طويلة خلال المدح لهواء الأمراء. فكان مدحه وصفاً الأحداث السياسية والحروب والأعداء ضد الدولة يفخر بالمدوح ويشد انتصاراته، ومن ذلك قوله في مدح الأمير أبي يحيى بن إبراهيم:

يَمْتَدُّ حَبْلُ الْأَسْمَرِ الْخَطِي فِي يَدِ وَبَاغِ الْأَبْيَضِ الْبِتَارِ
بِئَمِينِهِ يَوْمَ الْوَعْيِ وَشِمَالِهِ مَاشَاءَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ إِعْصَارِ
صَحْبِ الْحَسَامِ النَّصْرَ صُحْبَةَ عِبْطَةَ فِي كَفِّ صَوَالٍ بِهِ سَوَارٍ (75)

نجد أثر البيئة السياسية على شعر ابن خفاجة هذه الأبيات تصور المدوح وقدرة على الانتصار بقوة السيف يضرب بيمينه وشماله تحول الحرب إلى إعصار كأنهما قوى تهدم كل من أمامه، وصف للحسام والنصر شخصان في المعركة، هذا يجعل تأثير انعكاس البيئة في شعر ابن خفاجة يصور السيف والنصر كأنهما شخصان منتصران في معركة. وجاء هنا مدحة الأمير تيمياً الذي كان والياً على مرسية شرقي الأندلس، يستعملها بوصف الطبيعة والغزل ويصل إلى المدح فيقول:

وَلَا كَفَّ إِلَّا لِلْأَمِيرِ كَرِيمَةَ تَبَسَّمَ فِيهَا النَّضْلُ عَنْ مُبْسَمِ النَّصْرِ
وَهَبَ بِهَا يَمْضِي يَعْرِي كَأَنَّمَا شَهَابٌ بِهِ يَنْقُضُ لَوْ قَدْرٌ يَجْرِي
قَلْبِهِ مَحْمُولٌ هُنَاكَ وَحَامِلٌ يَعِيدُ مَجَالَ الصَّوْتِ وَالصَّيْتِ وَالذِّكْرِ
يَعْبُ غُبَابَ الْبَحْرِ فِي السَّلْمِ الْوَعْيِ بِبَدَلِ الْيَدِ الْغَرَاءِ وَالْفَتَاكَ الْبَكْرِ

فهذه القصيدة من قصائد ابن خفاجة الطويلة يتحدث عن حبه للأمراء حين يندفع الأمير ماسكاً سيفه يقطع ويمزق الأعداء بد دون شفقه ورحمة وشجاعة الأمير مثل البحر الذي يقبض خيراً ولمعناً سيفه الشهاب التي تسقط على الأعداء وحبه وكرمه يفيض خيراً في حالة السلم، فهو يعطي بيده الكريمة ويقاوم بضربات فريدة على الأعداء وهو سبقه معاً بسبب عزة قومه وصيتهم الرفيع.

وكذلك جاء وصفه صاحباً له بصفات البلاغة والفصاحة لأنه شاعر وأديب فيقول:

وَهَلْ هِيَ إِلَّا جُمْلَةٌ مِنْ مَحَابِسِنِ تَغَايِرُ أَبْصَارًا عَلَيَّهَا وَآذَانُ
بِأَمْثَالِهَا مِنْ حِكْمَةٍ فِي بِلَاغَةٍ تَحَلُّ أَصْفَانُ وَتَرْحَلُ أَصْعَانُ
كَلَامٌ كَمَا اسْتَشْرَفَتْ جِيدَ جَدَابَةِ وَفَصَّلَ يَأْقُوتُ هُنَاكَ وَمَرْجَانُ (76)

تشع هذه القصيدة بريقاً لامعاً تجس لوحة رسام مبدعة تفيض بالصدق العاطفي، لأنها تتبععت من صاحب إلى صاحب وشبه الكلام البليغ بالغزال الصغير وشبه الياقوت والمرجان لما فيه من لمعان يوضح أثر البيئة الأندلسية على الشاعر. وكذلك نراه يمدح القضاة بكثير من المعاني الموقعة الموجودة، ويضيف ما هو ضروري في مدح امثالهم كالعدل والأخذ بالحق والرأي الصائب. (77)

فابن خفاجة شاعر المدح ومميزاتها الشرف والمجد والشجاعة والمرؤة، وهي تأتي في معنى واحد هو صفات الفتوة :

وَتَمْضِي بِهِ فِي الْوَعْيِ نَحْدَةً مَضَى السَّيْفُ فِي كَفِّهِ أَوْ نَبَأً
فَقَرَضَى الصَّوَارِمَ عَنْهُ أَحَا وَتَكْبِيرٍ مِنْهُ الْمَعَالِي أَبَا (78)

لعل تجد أن ابن خفاجة أنه شاعر تقليدي من جهة المعاني والإطار الذي صاغ فيه قصائده فإنه يرغب في الإتيان بما هو جديد حيث حبه للطبيعة وإغرامه بها نجد إقامة علاقات مشابهة بين ممدوحه وبين الطبيعة كقوله:

تَهْرُ بِه رِيحُ الْمَكَارِمِ حُوْطَةً (79) نَفْضُ الْأَمَالِ نَوْرَ الدَّرَاهِمِ (80)

فكرم المدوح دائماً متجدداً كل يوم مختلف عما قبله، وكان المدوح خوطة مثمرة أزهارها الدراهم يتطلع إليها الطامعون.

المطلب الثاني: الغزل

اهتم العرب بالمرأة اهتمام كبيراً وهي تحضوا في قمة الشعر العربي وهي ملهمة للشاعر العربي، فكتب في حياها أروع أبياته و أوقد في طريقها الشموع التي تبدو محفل الشعر العربي ويوشك أن يكون الأدب العربي حافلاً يشعر الحب لكثيرة الشعراء وتتوعد مذهبه.

وهذا مرتبط بحياة العرب ارتباط قوى هذا يدل على ارتباط الرجل بالمرأة، وهذا ما حثنا الله في عبادته، ويقول ابن قتيبة لأن النسب قريب من النفوس ملتصق بالقلوب، لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وحب النساء، فليس يكاد يخلو من أن يكون متعلقاً منه العباد وضارباً فيه يسهم حلال أو حرام. (81)

وكان للبيئة الأندلسية دور كبير في ازدهار ونمو الشعر الغزل بشكل واضح لأنه يتصل بجمال الطبيعة الزاهرة، المرأة في الأندلس احتلت مكانة عالية في الشعر وكان لها الأثر الكبير في الأدب، في مجالس الأسي ومحافل الغناء.

عاش ابن خفاجة في البيئة الأندلسية التي أثرت على سلوكه وتفكيره في بيئة ساد فيها اللهو والمرح ومجالس الأناج، يباع الخمر دون قيود وشروط، وكذلك سوق الجوارى هذا التفتح ساد في المجتمع الأندلسي، وخاصة في عهد الملوك والأمراء على نشر المتعة أواسط المدينة. كان ابن خفاجة مصور تلك اللحظات والمعاني في شعره. وابن خفاجة لم يقف على وجود شخصيه غزليه واحدة يقتصر عليها شعره، بل تردت العديد من الشخصيات منها : ليلي ولبنى، ودعد وغفراء وهند ومي وأم سالم وغيرهما ذكر اسمائهم في ديوانه. (82)

وتظل العاطفة الخالطة الخالصة أساس أغراض الشعر، ونجده يصور عشيقته من الرياحين والرياض، حين يريد أن يتحدث عن أوصاف محبوبته يتحدث عن الوجدتين وجمال وحسن محبوبته وبياضها يقول :

فَتَقَّ الشَّبَانِ بِوَجْنَتَيْهَا وَرَدَّةً
وَصَحَّتْ سَوَالِفُ جِيدِهَا (83) سُوسَانَةٌ (84)
فِي فِرْعِ إِسْحَلِهِ تَمِيدُ شَبَابًا
وَتَوَزَّدَتْ أَطْرَافُهَا عُنَايَا
بِيضَاءُ قَاصَى الْحُسْنِ مَاءِ فَوْقَهَا
وَطَافَا بِهَا الدُّرُ (85) النَّعْسُ حَبَابًا (86)

وبدا أثر البيئة واضح في غزل ابن خفاجة يتغزل في العيون الزرقاء فيقول :

وَعَدَّتْ تَحْفُ بِهِ الْعُصُونُ كَأَنَّهَا
هُدْبُ تَحْفُ بِمِقْلَةٍ زَرْقَاءِ (87)
وقوله أيضاً :

نَاجِيَتْ مِنْهُ عَطَارِدًا وَلَزُنْمَا
تَتَدَى بَقِيهِ أَقَاحَةَ نِقَاحَةٍ
قَبْلَانَهُ فَلَتَمْتُ وَجْهَ الْمُشْرَى
شَرِيَتْ عَلَى صَمَاءِ بَمَاءِ الْكُوَثْرِ (88)

فقد شبه وجه عشيقته في بياضه ونضارته بالكواكب التي تشع نوراً في السماء شبه ريق المحبوبة بماء الكوثر .
ونجد أن ابن خفاجة يترك أحياناً البيئة الأندلسية ويرجع إلى البيئة العربية القديمة يتذكر الوقوف على الاطلال وذكر الديار فيقول :

أَرَقْتُ لِذِكْرِي مَنْزِلِ شَطَنَارِحِ
فَقُلْتُ لَبْرَقِ يَصْدَعُ اللَّيْلَ لَامِحِ
كَلِفْتُ بِأَنْفَاسِ الشِّمَالِ لَهُ شَمَا
الْأَحْيِ عَنِّي ذَلِكَ الرُّبْعِ وَالرَّسْمَا (89)

يبدأ هذه الابيات بالتعب لتذكر المنازل التي جعله يشم نسيم الشمال وفي البيت الثاني يشخص الطبيعية والبرق يحمل سلاماً إلى محبوبه.

أما غزله الحسي فهو اللون الغالب على غزله فهو أكثر ابن خفاجة تصوير محاسن المرأة وجالها خالف الشعراء في نظم القصيدة، فأغلب قصائده تشتمل على الوصف حيث قال:

غزالية الألاحظ (90) ريميئة (91) الطلى
مُتَامَةُ الْأَلْمَى جَنَابَةُ التَّعْرِ (92)

فهو يشبه عشيقته بعين الغزال في الرقة والجاذبية كما شبه عنقها بعنق الطي في جاذبية طولها ويتخيل فيها كأنها كأس خمر فجعل شفتيها كأنها الخمر لطعمها وأسنانها تطفو على كأس شبهها كأنها فقاقيع الخمر التي تتناثر داخل الكأس عند سكبها. وابن خفاجة شعر الحسى لا يراه إلا بعينييه واصفاً محبوبه في عديد من الأشعار.

غزل الغلمان

إن الغزل المذكر والمؤنث لا يختلفان عن بعضهما كثيراً في وصف الأجسام إن كانت ذكرية أو أنثوية، يتغزل الشعراء في مفاتن الجسد بالعيون والقوام شبهوا الغلام بالشمس والقمر والنجوم وعشقوا الرقة والمحاسن ومفتن الجمال". (93) ونلاحظ أن هذا النوع من الغزل لم يكن موجوداً من قبل، ولكن بعد الفتوحات العربية في الشرق والغرب، واختلاط العرب بغيرهم وخاصة الفرس وانتشر هذا اللون من الغزل في منتصف القرن الثاني الهجري. (94) لم يهتم ابن خفاجة بهذا النوع من الغزل، بالرغم نجد في ديوانه العديد من القصائد والمقطوعات التي تتحدث على هذا النوع من الشعر، وهو أحد شعراء الأندلس الذين تغنون في تصوير محاسن الغلمان تصويراً حسيماً مبدعاً فيه، وذلك يقول:

أَلَمْ يَسْقِنِي سُلَاقَةَ رِيْقَةٍ وَطَوْرًا يُحِبِّينِي يَاسَ عَدَارِ

قَبِلْتَ مُرَادَ النَّفْسِ مِنْ أَقْحَوَانَةٍ شَمَمَنْتَ عَلَيَّهَا نَفْحَةَ لِعَرَارِ

وَوَجْهَ تَخَالُ الْخَالِ فِي صَحْنِ حَدِّهِ فَتَانَةٌ مِسْكِ فَوْقَ جَدْوَةِ نَارِ (95)

نجد ابن خفاجة أبدع في مدح الغلمان حيث جمع من وصف العذار والحيلان في عناصر الطبيعة وكان يتخذ منها السقاة والنديمات الموضوعة مستعيناً بالطبيعة في تشبهاته وكنائته ويشبه العذار بالطحلب فيقول:

هَلْ سَاءَهُ أَنْ الِ اسَاوَرْدُهُ وَتَعَطَّلَتْ مِنْ فِيهِ كَأْسٌ تُشْرِبُ

وَكَأَنَّ صَفْحَتَهُ وَبَدَّ عَدَارِهِ مَاءٌ يَبُورُ بِصَفْحَتِهِ طَحْلَبُ (96)

ويقول في صوره للخال:

رَأَيْتُ لِخَالِهِ فِي صَحْنِ حَدِّهِ فَوَادُ مُحَبِّهِ فِي نَارِ صَدِّهِ

فَخَذْتُ وَقَصُرْتُ نَفْسِي لَنُفْمِ فِيهِ فَأَعْطَانِيهِ مِيثَاقًا بَعْهُدِهِ (97)

فهو يصور الخال فائق الجمال بخدي الصبي وجد نفسه محباً لهذا الجمال فهو يشعل حرارة من الجمال وعبرت هذه الأبيات عن فتنة الشاعر بالجمال وهمامة به اغرام هذا الشاعر بالجمال وارتباطه بالطبيعة فائق الخيال.

وهكذا نرى أن الشاعر في الأندلس عاش حياة اللهو والترف في أحضان البيئة الأندلسية مما ساعد على ازدهار الغزل، فكان لهوه فجاج متفاعلاً معه مستمداً مرجه وغزله من بيئته التي عاش فيها فالبيئة كانت للشاعر مسرحاً ذو أهمية في حياة المجتمع الأندلسي.

المطلب الثالث: الهجاء

بن خفاجة كان بعيداً عن الهجاء وبالرغم الهجاء موجود منذ القدم، وهذا يدل على طبيعة ابن خفاجة الخليفة التي عاشها أنه لم يتوحد بالشعر على عتبات الأمراء وذوي الجاه، ابن خفاجة أراد الوقوف بعيداً بالرغم من كثرة الهجاء في عصر الطوائف، بالرغم من ذلك كانت له قصيدة واحدة يهجو فيها أبو جعفر بن رشيق (98) عند قطع السبيل وإخافة الطريق وقد تمنع ببعض أسوار مرسية (99)، ثم قال يهجو:

أَلَا قُلْ لِلْمَرِيضِ الْقَلْبِ مَهْلًا فَإِنَّ السِّيفَ قَدْ صَمَمَ الشِّقَاءَ

وَلَمْ أَرْ كَالنِّفَاقِ شِكَاةَ غِرٍّ وَلَا كَدَمِ الْوَرِيدِ لَهُ دَوَاءَ

وَقَدْ شَمَلَ الْعَجَاجُ بِهِ سَمَاءَ وَقَدْ دَمَى النَّجِيعُ هُنَاكَ أَرْضًا

وَدَيْسَ بِهِ انْحِطَاطًا بَطْنُ وَاِدٍ مَذَّ أَعْشَبَ شَعْرُ لِحْيَتِهِ ضَرَاءَ (100)

فهو يرسم صورة غامضة لهذه اللحية التي طالت كثافتها وشبهت بالشجر المتشابك ولكن تحت كل شجرة منها شيطان مناقق وليس له من علاج إلا بالسيف وبالغرم من اشعار ابن خفاجة عن قول الهجاء فإن ديوانه احتضا بمقطعات قليلة، فهو لم يبدع في رسم الصورة الهجائية التي تضنى بالمجتمع، قائلاً:

وَمُعْرِضٍ لِي بِالْهَجَاءِ وَهَجْرِهِ
جَاوِبَتَهُ عَنْ شَعْرِهِ فِي ظَهْرِهِ
فَلَيْنَ نَكُنَ بِالْأَمْسِ قَدْ لُطْنَا بِهِ
فَالْيَوْمَ أَشْعَارِي تَلُوطُ بِشَعْرِهِ (101)

ولقد استند هجاء الفقهاء في عصر المرابطين بعد أن أدرك الشعراء بأن لهم مكانة من قبل وما رأوه من تكالهم على المال وجمع الثروات والمناسب للحكم وابتعادهم عن مصالح الناس وعدم الاهتمام بهم واستغلال النقود والمصالح لحالهم الخاصة دون النظر للغير يقول فيهم ابن خفاجة:

دَرَسُوا الْعُلُومَ لِيَمْلِكُوا بَدَالَهُمْ
فِيهَا صُدُورَ مَرَاتِبٍ وَمَجَالِسَ
وَتَرَهَّدُوا حَتَّى أَصَابُوا فُرْصَةً
فِي أَخْذِ مَالٍ مَسَاجِدٍ وَكُنَائِسَ (102)

وهذا النوع من رجال الدين المعلم يجعل هذا الدين ولوجه الله تعالى وإنما يجعله مصلحة هذه لنفسه ويأكل كل هذه الأموال التي تخصص إلى هذا الجانب وعند تأتية الفرصة يبدأ البداية بالحكم والموعظة، ويصل المكان الذي يريده ويكون في الصدارة إلى أن تأتية الفرصة فيخدم لمصلحة، وهذا يبدو أثر البيئية واضحاً.

الخاتمة

من خلال دراستي لهذا الشاعر، توصلت إلى العديد من النتائج التي رسمها هذا البحث، ويمكن جمعها في عدة نقاط وهي كالاتي:

- 1- إن ابن خفاجة كان متأثراً كثيراً كبيراً بالبيئة الأندلسية، وكان ملماً بجميع جوانب الوصف في الشعر، كما كان صادقاً مع البيئة التي عاش فيها وترعرع في كنفها؛ فكان متفاعلاً مع بيئته التي أخذ منها الكثير وأعطاهما الكثير، فأعجب بها وتغنى بجمالها.
- 2- أثرت المظاهر البيئية تأثيراً واضحاً في صور ابن خفاجة الشعرية، حيث نلاحظ أن أثر البيئة الأندلسية يعد من أهم الموضوعات المرتبطة بالصورة في شعره؛ وذلك لشدة حبه لها، مما جعل وصفه يختلط بأحاسيسه وذاته.
- 3- دمج ابن خفاجة جوانب البيئة الأندلسية وجمال طبيعتها الحية في لوحات رسم فنية، وأوضح اهتمامه الكبير بتسجيل سمات هذه البيئة من خلال تصوير الطبيعة الصامتة والمتحركة، مبيناً تفاعل كل منهما مع البيئة والمجتمع الأندلسي.
- 4- مزج ابن خفاجة الأغراض الشعرية بالبيئة الأندلسية كالممدح والغزل والهجاء، وكان يحرص كثيراً على تصوير هذه الأغراض من خلال الوصف، الذي اتخذه باباً ومنفذاً يرى من خلاله الكون.
- 5- وظّف ابن خفاجة في معجمه اللغوي المفردات والأساليب توظيفاً بعيداً عن الغريب والمستنكر، فقد كان يميل إلى السهولة والبساطة في الوصف، بينما يكون شديداً في مواضع الشدة، فأحدث بذلك تجانساً بين إحساسه ولغته الشعرية.

هوامش البحث

(1) ينظر: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، 1978، ص413.

(2) الديوان، 176.

(3) الديوان، 150.

(4) الديوان، ص374.

(5) الديوان، ص590.

(6) الديوان، 102.

- (7) شدا: تغنى، المعجم الوسيط.
- (8) الديوان، ص 371.
- (9) سورة يوسف، الآية 31.
- (10) الديوان، ص 191.
- (11) الديوان، ص 110.
- (12) ينظر: علي الجندي، أدب الربيع بين الورد والنرجس، مطبعة جامعة القاهرة، 1961، ص 21.
- (13) ينظر: رمضان القماطي، معجم الحرب والجهاد في الأندلس من خلال النصوص، مجلة الدعوة الإسلامية، العدد التاسع عشر، 2002، ص 371.
- (14) الديوان، ص 271.
- (15) الديوان، ص 8.
- (16) الديوان، ص 134.
- (17) الديوان، ص 50.
- (18) الديوان، ص 35.
- (19) ينظر: سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأندلس، دار المعارف، القاهرة، 1978، ص 23، 24.
- (20) ينظر: مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي فنونه، وموضوعاته، ص 255، 256.
- (21) ينظر: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 450.
- (22) ينظر: نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الأندلسي، كتاب الأمة، قطر، 1987، ص 91.
- (23) الديوان، ص 290.
- (24) ينظر: على الجندي، الشداء المؤنس في الورد والنرجس، مكتبة الأنجلو المصرية، 1961، ص 6.
- (25) الديوان، ص 117.
- (26) ينظر: لسان العرب، مرجع سابق.
- (27) ينظر: أحمد هيكل، ص 124.
- (28) الديوان، ص 206.
- (29) الديوان، ص 69.
- (30) ينظر: مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين عالم الكتب، بيروت، 1981، ص 472.
- (31) الديوان، ص 119.
- (32) عبد الرحمن عطية، الصنوبري شاعر الطبيعة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981، ص 88.
- (33) عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، ت: كمال أحمد عقيم، مكتبة مدبولي، ط الأولى، 1998، ص 208.
- (34) نبات معرب وهو المنشور الاصغر، الذي يخرج منه الذهن اللسان، مصدر سابق، مادة (خير).
- (35) الديوان، ص 24.
- (36) نيق: قمة الجبل. ينظر: القاموس المحيط، مصدر سابق.
- (37) الديوان، ص 182.
- (38) الأوس: هو نبات بأرض العرب ينبت في السهل والجيل وخضرته دائمة أبداً ينمو حتى يكون شجراً عظاماً، واحدته آسيه، ينظر: لسان العرب، مصدر سابق مادة (أوس).
- (39) الديوان، ص 189.
- (40) الديوان، ص 26.
- (41) ينظر: محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص 123.
- (42) الديوان، ص 89.

- (43) لمى : لمين الشفه اسمرت ، المعجم الوسيط مرجع سابق.
- (44) الديوان، ص11.
- (45) الديوان، ص12.
- (46) الديوان، ص12.
- (47) ينظر : علي محمد سلامه ابن خفاجه حياته وشعره، دكتوراه غير منشوره كليه اللغة العربية القاهرة ، 1977، ص138.
- (48) القطار : جمع وهو المطر، المعجم الوسيط.
- (49) القمام: السحابة.
- (50) عموماً : الحزن الشديد.
- (51) الديوان، ص224.
- (52) سورة هود، الآية 82.
- (53) سورة العنكبوت، الآية 40.
- (54) الديوان، ص22.
- (55) الديوان، ص32.
- (56) الديوان، ص130.
- (57) الديوان، ص341.
- (58) سورة المؤمنين، الآيتان 106 ، 107.
- (59) الديوان، ص43.
- (60) ابن رشيقي، مصدر سابق، ص89.
- (61) ينظر : عبد الرحمن عطية، مرجع سابق، ص138.
- (62) جنانر : زهرة الرمان، المعجم الوسيط، مرجع سابق.
- (63) الديوان، ص149.
- (64) الديوان، ص235.
- (65) ينظر : سعد شلبي ، مرجع سابق، ص 151.
- (66) الديوان، ص 233.
- (67) الديوان، ص 36.
- (68) الديوان، ص 258.
- (69) الديوان، ص233.
- (70) الديوان، ص213.
- (71) الديوان، ص115.
- (72) ينظر : سعد إسماعيل شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، دار النهضة، مصر، 1978، ص242.
- (73) ينظر : عبدالله بن الآبار ، تكملة الصلة، ج1، ص 143. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات والأندلس، ص317.
- (74) ينظر : جودة الركابي، ص 114.
- (75) الديوان، ص37.
- (76) الديوان، ص 266.
- (77) ينظر : الداية، ابن خفاجه، ص40.
- (78) الديوان، ص 50.
- (79) خوطة: الغصن الناعم، معجم الوسيط.

- (80) الديوان، ص 256.
- (81) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني: تح: محمد محيي الدين، دار الجيل، بيروت، ص116.
- (82) ينظر: ابن رشيق، مصدر سابق، ج2، ص121.
- (83) جيدها: العنق ومقدمة موقع القلادة، المعجم الوسيط.
- (84) سوسانة: نوع من أنواع النبات الزهري.
- (85) الدر: اللؤلؤ العظيم الكبير.
- (86) الديوان، ص 32.
- (87) الديوان، ص 11.
- (88) الديوان، ص136.
- (89) الديوان، ص226.
- (90) الأبحاث: مؤخرة العين، المعجم الوسيط.
- (91) ريمية: الريم الضبي الخالص البياض، المرجع السابق.
- (92) الديوان، ص24.
- (93) ينظر: محمد مجيد السعيد، الشعر في ظل بني عباد، مطبعة النعمان النخب، 1972، ص 153.
- (94) ينظر: محمد النويهي، تقنية أبي نواس، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1970، ص221.
- (95) الديوان، ص99.
- (96) الديوان، ص28.
- (97) الديوان، ص190.
- (98) هو ابوجعفر عبد الله بن رشين كان قائداً في جملة ابن عمار على مرسه وسرعان ما استقل بالمدينة وجرى ابن عمار وثار بها على المعتمد بن عباد انظر البيان المغرب، ج ، ص142
- (99) مرسيه: مدينة بالأندلس وهي تقع في شرق الأندلس. انظر: ياقوت الحموي، ج، ص107.
- (100) الديوان، ص12.
- (101) الديوان، ص90.
- (102) الديوان، ص100.